مقدمة

تتحدّد أهمية المؤسسات الدينية في أي مجتمع إنساني وفقًا لموقع الدين ذاته داخل هذا المجتمع، ومدى تعمُّقه في وجدان أفراده، ومدى تشجيع الدولة له والحث عليه؛ فالدولة ـ أية دولة ـ تجد نفسها أمام أحد هذه المواقف من الدين: إما تشجيعه، أو رفضه، أو عدم الاكتراث به، أو حتى منعه، أما في إسرائيل فالأمر مختلف؛ إذ تشجّع الدولة تيارات دينية بعينها وترفض تيارات أخرى، وهي رؤية انتقائية للدين لا تعبأ كثيرًا بروح الإيمان بقدر اهتمامها بمحاولة التأصيل الديني وإن جاء تعسفيًّا لرؤية سياسية ما.

ومهما يكن من أمر، فالمؤسسات الدينية تمثّل قيمة جوهرية داخل المجتمع الإسرائيلي انطلاقًا من الأهمية البالغة للدين ذاته؛ لذلك نجد أن تلك المؤسسات تنتشر بشكل كبير داخل المجتمع الإسرائيلي، فمنها المؤسسات الدينية التعليمية، والدينية الحزبية، والدينية القضائية والعسكرية.

وقد آثرنا أن نتناول تلك المؤسسات الدينية كرؤية للدين الرسمي للدولة ـ دين المؤسسة ـ للدين عندما يدخل معترك السياسة ومدى تأثير كل منهما في الآخر؛ أي: كيف يتم إعادة صياغة النظرية الدينية لتتواءم والموقف السياسي للدولة، وفي المقابل مدى انصياع القرار السياسي لرجال الدين، وأثر ذلك كله على المجتمع، ومن ثمّ على مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، ومن ناحية أخرى، أثره على الفكر الديني ذاته في اقترابه أو ابتعاده عن مقصده الذي أُنزل من أجله.

والدراسة من هذا المنطلق هي محاولة لاستخلاص مبدأ عام أو معادلة شاملة تتحدد على أساسها العلاقة بين الدين والدولة في إسرائيل، ومن ثمّ مستقبل الدين فيها، وعلاقة ذلك كله بالصراع العربي الإسرائيلي، وهي

معادلة قد تكون صعبة في مجال الدراسات الإنسانية، والتي تتسم بتعقُّد ظواهرها، إلا أنها في الوقت ذاته ليست مستحيلة، معادلة نعتقد أنها سوف تجعل من الممكن حل شفرة المجتمع الإسرائيلي الذي يسير بخطوات هُلامية؛ فلا ندري أين سيضع أقدامه في الخطوة القادمة.

ومن ناحية أخرى فالدراسة في أحد أوجهها ترمي إلى دراسة العلاقة بين الدين والسياسة، ونشأة وتطور تلك العلاقة في مجتمع إنساني ما، وتأثيرها على الاثنين ـ الدين والسياسة ـ كعلاقة بين بناءين للأفكار ـ إن جاز لنا أن نستعير من الطرح الماركسي ـ أحدهما تحتي وهو (الدين) والآخر فوقي وهو (السياسة أو الحراك الاجتماعي)، وما ينتج عنهما من بناء جديد يتجه اعتدالًا أو تشددًا طبقًا لظروف هذه العلاقة.

وفيما يتعلق بعلم الأديان ـ فتلك الدراسة هي ابنة هذا العلم الكبير ـ ما مدى صحة الفرضية القائلة بأن السياسة تُفسد الدين؟ وأن المتدينين قد يتنازلون عن قناعاتهم الدينية من أجل مكاسب سياسية ومادية بمجرد دخولهم لعالم السياسة، وعن المواقف التي تمسكوا بها طوال تاريخهم الطويل؛ فهل كان يجب أن يظلوا قابعين في جيتوهاتهم بعيدين عن معترك الحياة للحفاظ على الدين في نبعه الصافي؟ وأي دين هذا الذي تفسده الحياة وقد أرسله الله بالأساس من أجل إصلاحها؟! تلك إشكالية أخرى ستحاول الدراسة تقصّيها بحثًا وتحليلًا.

الآن سنحاول سرد عدد من القناعات التي ترسخت عبر مسيرة الدراسة لتتيسر القراءة على ضوئها، إذ تعتبر بمثابة فقرات مفتاحية من شأنها تمكين القارىء من الإمساك بالخيوط العامة للأطروحة قبل الشروع في قراءتها، ولعل أبرزها:

* أن المؤسسات الدينية ورجال الدين قد لعبوا دورًا مركزيًّا في إفساد الأديان حين عقدوا تحالفًا مع السلطة، وهو أمر ليس قاصرًا على اليهودية فحسب بل يكاد يكون قانونًا صارمًا يسري على جميع الأديان، وهو ما دعا توفيق الحكيم لأن يقول قولته الشهيرة: «**إن المسئول عن انهيار مملكة السماء هم رجال الدين أنفسهم**». فقد عمدوا إلى تكريس نمط نفعي من الدين حفاظًا على مكتسباتهم وتعظيمًا لها، أو لإضفاء شرعية دينية زائفة على

السلطة القائمة، وكأنه عقد صامت تم إبرامه بين رجال الدين والمؤسسة الدينية وبين السلطة السياسية.

إن ما فعله هؤلاء هو في حقيقة الأمر تحريف للدين بل أخذه في اتجاه معاكس لمقاصده، فبدلًا من أن يصبح مصدر خلاص الإنسان وانعتاق له من ارتهانات واقعه أصبح أداة لتكريس عبوديته ولكن بديباجات دينية، فتحولت قيمة مثل الصبر والطاعة من قيمة كبرى إلى رضوخ واستسلام لواقع مخزٍ وإذعانًا تامًّا للأمر الواقع ورضاء بالظلم الاجتماعي؛ بذريعة أن سمة تعويضًا في السماء، من هنا تصبح كلمة ماركس: «الدين أفيون الشعوب» أكثر مصداقية وأكثر تعبيرًا عن هذا الواقع، غير أنه إذا أردنا تصويبًا لمقولة ماركس تلك لتصبح أكثر انضباطًا فستكون كالتالي: «**كثير من أنماط التدين هي حقًّا أفيون الشعوب**»، فليس الدين هو من يجب أن نوجه اللوم إليه وإنما نمط التدين الذي طوره أصحاب المصالح ليعزز مكتسباتهم، فمن المعروف أن الدين قد شكل في مراحل نشأته الأولى قوة إيجابية احتجاجية ودافعة نحو التغيير الاجتماعي، غير أن المؤسسة الدينية الموالية للسلطة انتهت به إلى الوقوف مع القوى الحاكمة التي جاءت تلك الأديان بالأساس احتجاجًا على ممارساتها تجاه البشر، ومن ثم تروج تلك المؤسسة لنمط ديني انسحابي طاعوي يدعي أن الحياة ليست على هذه الأرض بل تقبع في العالم الآخر، وأن على الأتباع الصبر والرضا بالأوضاع الفاسدة القائمة بحجة تعويضهم في الآخرة، فالمؤسسة الدينية بحسب البعض تمثل في كثير من الأحيان واحدة من آليات جهاز القمع الأيديولوجي للسلطة السياسية، بزعمها امتلاك الحقيقة المطلقة ومن ثم محاولة فرضها على الجميع.

وعليه؛ فلن يتسنى تطوير رؤية دينية ونمط ديني أقرب لمقاصد الدين من دون تحقيق استقلالية تامة لتلك المؤسسات الدينية لتصبح تعبيرًا عن تطلعات الأمة وليس السلطة الحاكمة، ثم وضع آليات واضحة يتم بموجبها الاشتباك مع التراث الديني تفسيرًا وتأويلًا وإسقاطًا على الواقع بشكل يجنب النص الديني ويحميه من التوظيف السياسي السلبي له، سواء من قبل رجال الدين أو المؤسسات الدينية أو الجماعات الدينية ذات الفكر الأيديولوجي المسبق.

* تكاد تكون استراتيجيات التوظيف السياسي للدين عبر التأويل السلبي

لعقائده وقراءة النص قراءة خاطئة ليعضد مكاسب دنيوية سمة مشتركة بين رجال الدين النفعيين في كل الأديان، من هنا يتحتم حماية الدين من استغلاله السياسي؛ ليس الدين اليهودي فحسب بل كل الأديان السماوية التي لم تنجو من هذا التوظيف الخادع، فالسياسة ظلمت الدين حين قتلت بُعده الروحي وجعلته مجرد أيديولوجيا تم توظيفها لتحقيق أطماع سياسية، فها هو ميكيافيللى يقولها صراحةً: «**الدين ضروري للحكومة، لا لخدمة الفضيلة، ولكن لتمكين الحكومة من السيطرة على الناس**». لقد تلاقى هذا الطرح مع ما ذهب إليه زعماء الحركة الصهيونية، **يقول بن جوريون**[(١)]: «**الدين هو وسيلة مواصلات فقط لذا يجب أن نبقى فيها بعض الوقت لا كل الوقت**» فكل الأيديولوجيات والأنظمة الفاسدة تستغل الدين تعزيزًا لمكتسباتها، ولا شك أن اللعب بورقة الدين هو أمر ينطوي على خطورة كبيرة على الاثنين معًا على الدين وعلى السياسة.

* ساهمت المؤسسات الدينية الإسرائيلية في تحويل الديانة اليهودية إلى مجرد طقوس وتشريعات ومراسم؛ فتلك هي القضايا والموضوعات التي تدافع عنها هذه المؤسسات بصفة مستمرة، وفي الوقت ذاته خَفُتَ الحديث عن الدين كعلاقة روحانية بين الإنسان وربه، عن الإيمان في سبحاته وتجلياته، إن ما نراه في إسرائيل الآن هو دين الكاهن والطقوس، وليس دين الإيمان ورقي الروح، فعبر التوظيف السياسي للدين جرى اغتيال روحه وقيمه الإنسانية الداعية للتراحم والتعاضد بين البشر، فعندما يتحول الدين إلى مجرد طقوس تندثر أبعاده الروحية وقيمه الأخلاقية.

* أن واحدة من الملاحظات المركزية، ليس فيما يتعلق بإسرائيل وحسب بل بالعالم أجمع، هي عودة المقدس، وهي ظاهرة جديرة بالتأمل إذ

---

(١) **دافيد بن جوريون (١٨٨٦ ـ ١٩٧٣م)**: زعيم صهيوني ولد في بولندا، كان أبوه عضوًا في جمعية أحباء صهيون، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٦م، تولَّى رئاسة الهستدروت من عام ١٩٢١م حتى ١٩٣٢م. في عام ١٩٣٠م شارك في إنشاء الماباي، وانتُخب عضوًا في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية عام ١٩٣٧م. وفي عام ١٩٤٨م أشرف على تكوين رئاسة الحكومة الإسرائيلية المؤقتة، وقام بنفسه بإعلان بيان قيام إسرائيل.

تلمي (أفرايم ومناحم)، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: أحمد بركات العجرمى، دار للنشر،عمان، الطبعة الأولى، ١٩٣٨م، ص٧١.

استطاعت تقويض كل توقعات عصر الحداثة بشأن الأديان، فقد تنبأ كثيرون بانحسار تأثير الدين كعامل محرك للحياة، وربما زواله نهائيًّا بعد دخول الإنسان عصر العلم، فها هو الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت كان قد أعلن أن البشرية مرت بثلاث مراحل: مرحلة السحر أو الخرافة، مرحلة الدين، ثم مرحلة الوضعية العقلية والعلم وهي التي عليها البشرية الآن، وأن مرحلة الدين وفقًا لطرحه قد انقضت وانتهت، ومن ثم تنبأ بانسحاب الدين من الحياة ليصبح من الحفريات التاريخية، على اعتبار أن العلم بما قدمه من اكتشافات قد قدم حلًّا للكثير من الألغاز التي كانت مجال عمل الدين باعتبارها فوق العقل، غير أن ما حدث هو عودة المقدس، أو «انتقام الله لنفسه»، بحسب البعض، وانبعاثًا للعامل الديني، فها هي مجتمعات ما بعد الحداثة تتصاعد فيها معدلات التدين بشكل لافت، فكما يقول تشارلز تايلور: «**العلم يعزز الدين إذ إن الله مقحم في الوجود الإنساني**»، وأندريه مالرو الذي أكد أن: «**القرن الحادى والعشرون سوف يكون روحيًّا دينيًّا أو أنه لن يكون**»، فالدين ظاهرة واكبت تاريخ البشرية منذ وجودها على سطح الأرض، وإن اختلفت تجلياته ومظاهره، وللفكر الديني تاريخ يضرب بجذوره في أولى لحظات الوعي الإنساني، وهذا ما تجسده المقولة الشهيرة للمؤرخ الإغريقي بلوتارك: «**لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور.. ومدن بلا مدارس.. ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد**»، فالحاجة للدين تكتسب قيمتها في مقدرته على إضفاء معنى على هذا الوجود وحياة الإنسان به، غير أن ما نريد تأكيده هنا أن العبرة ليست بتصاعد معدلات التدين عالميًّا وإنما بطبيعة ونمط هذا التدين: فهل هو نمط راديكالي عنيف يدعو للتغيير بالقوة، أم نمط طقوسي من شأنه تفريغ الدين من أبعاده الروحية، أم نمط إنساني عقلاني متفاعل مع مقتضيات العصر؟

وفي إسرائيل التي هي موضوع هذه الدراسة نلاحظ أن النمط الديني المتصاعد داخلها هو النمط الراديكالي المتشدد والداعي إلى الحلول النهائية عبر إبادة الآخر، وهو أمر يبعث على القلق في ظل اقتراب سيطرتهم كاملًا على مفاصل الدولة وبخاصة الجيش، فيكفي أن نعلم أن ٦٠٪ من الضباط في الوحدات القتالية في الجيش من أتباع التيار الديني الصهيوني المتشدد.

* تجاهلت أيديولوجيات العنف مخزون التسامح الكامن في كل

الأديان، وفي المقابل أضفت شرعية دينية على أيديولوجيتها فاستدعت نصوصًا بعينها وانتزعتها من سياقها التاريخي ومن ثم أسقطتها على سياق مغاير تمامًا ليصبح العنف وكأنه أمر إلهي يتحتم على الجميع الامتثال له، فخطورة التفكير الأيديولوجى أنه يسعى لتغيير العالم وفقًا لرؤيته، وهو في أحيان كثيرة يلجأ للقوة لفرض أيديولوجيته تلك في عالم الواقع، من هنا العلاقة بين الأيديولوجيا والعنف، فعندما يتحول الدين إلى أيديولوجيا تحملها جماعة معينة وتسعى لصياغة العالم وفقًا لتلك الأيديولوجية، فإن الدين في تلك الحالة يفقد إنسانيته ويصبح ساحة للصراع السياسى الذي يتم فيه التضحية بالوسائل على مذبح الغايات؛ أي: التضحية بقيم الأخلاق والعقل والعدالة والتراحم لصالح العنف والقتل والإبادة بحجة تحقيق غاية نهائية وفردوس أرضي في آخر الزمان.

* المسافة هائلة بين الدين وبين الأيديولوجيات ذات الديباجات الدينية، فإذا كانت وظيفة الدين هي إنتاج المعنى، معنى لحياة الإنسان ولماذا هو موجود على ظهر هذا الكوكب، ومن ثم إنهاء التوتر بين الإنسان وعالمه، في المقابل فإن الأيديولوجيا تؤجج هذا التوتر إذ تحشد الفرد المنتمي لها لمهمة مستحيلة غالبًا ما تبوء بالفشل فيصيبه اليأس والإحباط أو أنه يسرف في القتل في محاولة لفرضها بالقوة فيفقد إنسانيته، وفي حين أن الدين يجعل من المستقبل أمرًا مفتوحًا على كل الاحتمالات احترامًا لحرية الإنسان ودوره في صياغة عالمه إلا أن الأيديولوجيا تسعى دائمًا لمصادرة المستقبل ووضعه في مسار واحد هو مسار تحقيق أهدافها ورؤيتها باعتبارها أمرًا حتميًّا.

كما أن الأيديولوجيا تدعو للجمود والتحجر عند اجتهاد ما ولحظة تاريخية معينة فتذبل الحياة وتموت، أو أن فكرتهم تصبح غير مقبولة في عالم يتغير فيلجأون لفرضها بالقوة، من هنا تنبثق نبتة العنف في رحم الواقع، **فما قتل روح الأديان سوى الأيديولوجيا عبر صب النص الديني في قالبها، قاتل الله كل أيديولوجيات الأرض، فما تركت بشاعة إلا بررتها وما سكنت عقلًا إلا عطلته وما تحكمت بأمة إلا أقصتها من الإنسانية وما أصابت جماعة إلا كلستها وحنطتها وحجرتها في التاريخ.**

وعليه؛ فلا خلاص من هذا الواقع من دون إعادة قراءة النصوص الدينية قراءة جديدة، **قراءة تقوم على المعرفة والتفكير وليس الأيديولوجيا والتبرير**.

* أن هناك زحفًا غير مقدس للصهيونية على الفكر الديني اليهودي، فالصهيونية بمثابة الثقب الأسود الذي التهم الجماعات الدينية اليهودية، فابتلعها في محاولة لصهينتها من الداخل وهو ما تحقق بشكل كبير، فالصهيونية وكما يرى كثير من اليهود بمثابة «الهولوكوست الصامت» الذي قضى على أية بقايا للروح اليهودية وأية جوانب أخلاقية إنسانية كامنة فيها لتنتصر الطقوس والنزعة العنصرية في مقابل خفوت الأبعاد الروحية الكامنة في الدين.

* تأسيسًا على التحاولات المتسارعة داخل الكيان الصهيوني نعتقد أنه ينبغي أن تصبح المعرفة العلمية والمتجددة حول هذا الكيان بمثابة فريضة على الأمة العربية، فهو مجتمع تتغير معطياته باستمرار وبوتيرة متسارعة جدًّا، فهو وبحق كيان سرطاني يتغير من داخله بشكل عشوائي ولا يقنع بحدود، فالتيارات الدينية داخله تتجه نحو التصهين وتبني مزيد من أيديولوجيات العنف، وتيارات الوسط تتجه نحو اليمين، وتيارات اليسار تتآكل وتضمحل، والمتدينون تزداد براجماتيتهم السياسية وأوشكوا على التحكم كاملًا في النظام السياسي وقيادة الجيش، وهو أمر يبعث على القلق، فماذا لو سيطروا على الحقيبة النووية في ظل ما يؤمنوا به من قناعات؟! مؤكد أن النتائج ستكون كارثية؛ إذ من شأنه أن يصبح مصير الصراع العربي الصهيوني مفتوحًا على كل الاحتمالات، من هنا أهمية المعرفة العلمية والمتجددة لهذا الكيان والتي يجب أن يصاحبها عمليات التفسير والتحليل ثم التنبؤ والاستشراف ثم محاولة بناء عدد من السيناريوهات لكيفية التعامل مع هذا الكيان الصهيوني مستقبلًا، والتدخل بالمنع أو التحفيز لتحقيق سيناريو معين دون غيره؛ أي: التحرر من دائرة رد الفعل ومن ثم الانتقال إلى دائرة الفعل والمبادرة، وهو أمر لن يتسنى من دون تكوين خريطة معرفية كاملة حول هذا الكيان ومحددات صناعة القرار السياسي داخله.

* أن زوال الكيان الصهيوني بشكله الحالي هو أمر حتمي، هو ضرورة

أخلاقية، ولا نعني بزواله دماره وموت من فيه، وإنما تفكيكه وإعادة تركيبه بشكل وصيغة إنسانية، إن لم يتخذ هذا الطريق فحتمًا ستكون نهايات الحد الأقصى مصيره بانخراطه في حروب مع كل جيرانه، ونعتقد أن عملية إعادة تفكيكه لن تتأتى من دون إحداث تغيير حقيقي في جبهتين: الجبهة العربية بتحررها من الأنظمة السلطوية ومن ثم انخراطها في تحالف قوي يجبر الكيان الصهيوني على إحداث تغيير جذري في قناعاته وتقليص أطماعه، والجبهة الدولية بتخليها عن الدعم اللامحدود لهذا الكيان ومن ثم ممارسة الضغط عليه ليقبل بحل سلمي إنساني، من دون تغير في هاتين الجبهتين أو على الأقل في الجبهة الأولى لن يكون هناك أمل في حل حقيقي في ظل تمدد التيارات المتشددة داخل الكيان الصهيوني مع وجود مناخات دولية مشجعة ومساندة لها.

* أن واحدة من استراتيجيات إفساد الدين هي إعادة ترتيب أولوياته، فأزمة الأديان اليوم تتجلى في وجه من وجوهها في استدعاء أتباعها لبعض المعتقدات أو الفرائض الدينية ومن ثم إعادة تموضعها كأولوية مركزية في الدين، بل هي كل الدين، ضاربة بمقاصد تلك الأديان عرض الحائط؛ أي: الإتيان بقضايا من الهامش والقذف بها في المركز لتكتسب وضعًا جوهريًّا في الدين وبمرور الوقت تبتلع هذا الدين وتلتهمه داخلها، ففي اليهودية طورت التيارات الدينية الصهيونية والتيارات الموالية لها نمطًا من التدين اختزل الدين في جوهر واحد وهو تهيئة الأرض لاستقبال الماشيح المخلص بإبادة العرب ثم استيطان الأرض عبر إحلال يهود مكانهم، ومن ثم فكل فعل بخلاف هذا الجوهر هو من الفرعيات القابلة للغفران والتي يجب التساهل معها، لقد أفتى بعض حاخامات الكيان الصهيوني بأن فريضة استيطان الأرض تعدل كل فرائض التوراة البالغ عددها ٣٦٠ فريضة، ومن ثم فنحن أمام دين مغاير تمامًا لدين التأسيس عبر استراتيجية إعادة ترتيب أولوياته وإعادة موضعة العقائد داخله.

كما أنه عبر اتباع استراتيجية **تضخيم المقدس** جرى التلاعب بالنصوص المقدسة ومقاصدها الحقيقة؛ إذ تم إدخال نصوص جديدة عليها باعتبارها شروحًا لها وبمرور الوقت اكتسبت مكانة مركزية وقداسة تفوق قداسة النص ذاته، فكثير من نصوص التلمود يتم تقديمها على نصوص التوراة ذاتها، تقول

المروية الشعبية اليهودية ساخرة من هذا الأمر: «**تأزمت العلاقة بين اليهود والله، فقال الشعب لله: اتخذ لنفسك شعبًا آخر، قال الله: إذن أعيدوا إليّ التوراة، فأعادوا له كتبًا كثيرة، فقال الله لهم متعجبًا: لم أرسل كل هذه الكتب**».

تلك هي بعض القناعات التي ترسخت لديَّ طوال مسيرة هذه الدراسة ولكن السؤال الذي يطل برأسه الآن: ما العمل إزاء تحول الدين لأيديولوجية للعنف والقتل ـ جماعات العنف الصهيوني، داعش، جيش المهدي، وغيرها ـ أليس من سبيل لإنقاذه من هذا كله؟ يرى كثيرون أنه يتحتم إحياء النزعة الإنسانية في الدين، إحياء مخزون التسامح الكامن في كل الأديان، إعادة تلك النزعة الإنسانية التراحمية مرة أخرى إلى المركز ـ مركز العقائد ـ بعدما قامت جماعات العنف والتوظيف السياسي للدين بإزاحتها للهامش وإحلال أيديولوجيات العنف مكانها، من هنا يجب أن تتأسس متتالية مفادها: «**أية رؤية ضد الإنسان هي حتمًا ضد إرادة الله، وأية رؤية تؤكد حرية الإنسان وتحترم كرامته هي ذاتها إرادة الله**».

أي: أن ندور مع الإنسانية حيث دارت ولنتحمل بعضًا من الأعباء الأخلاقية باعتبارنا بشرًا، وفي هذا يمكن أن نطرح **(عبء رجل الأخلاق)** في مقابل (عبء الرجل الأبيض) الذي قدمته الحضارة الغربية والذي انطلى على أيديولوجية عنصرية، بافتراض أن الرجل الأبيض أكثر تحضرًا من غيره فتم توظيفه ليتحول لمبرر لاستعمار الشعوب ونهب ثرواتها، أما رجل الأخلاق فعليه عبء تقديم نموذج إنساني تراحمي ومن ثم يعمد إلى تحققه في عالم الواقع ومن دون محاولة فرضه على أحد، هنا يمكن الإفادة من المخزون الأخلاقي الكامن في الأديان في صياغة هذا النموذج.

وتبقى بعض الملاحظات حول منهج وطبيعة الدراسة نراها من الأهمية بمكان لذكرها هنا، وهي:

• تعمّدت الدراسة إيراد عدد من النصوص والمقولات المنسوبة إلى حاخامات إسرائيل والمؤسسات الدينية دون تأويل أو تصرُّف، حتى لا نتهم بالتأويل المجحف ضدهم ـ ربما لحساسية مفرطة لدينا من التأويل الذي كثيرًا ما يُستخدم من أجل إخراج النص عن مقصده ـ وتبني رؤى من خيالنا، أو

أننا قد بنينا استنتاجاتنا على معطيات ليست دقيقة، أو حتى أن نُتهم بمعاداة السامية!!

• سوف نركّز عن قصد ـ ونحن في مجال الأديان ـ على العقائد والفكر الديني، ولو كانت الدراسة مطروحة في قسم آخر لنحت منحى مخالفًا تمامًا؛ فليغفر لنا أهل تلك التخصصات إن شابها شيء من القصور فيما يخص تخصصاتهم.

• ستركز الدراسة على مواقف تلك المؤسسات من الآخر العربي والمسلم ومن الصراع العربي الإسرائيلي بحكم انتمائنا لهذه البقعة وتلك المنطقة، ولو طُرحت هذه الدراسة في مكان مغاير لاختلفت أيضًا بعض الشيء.

• الدراسة ستنطلق من الماضي والحاضر وعينها دائمًا على المستقبل، وهو ما قد يضفي عليها أهمية أخرى، ففي ظل معطيات متوافرة لدينا على مائدة البحث والدراسة في اللحظة الراهنة يمكننا أن نستخلص المواقف المستقبلية لتلك المؤسسات ومدى تغير تلك المواقف بتغير الظروف الضاغطة عليها سواء في محيطها الداخلي أو الإقليمي ومن ثم اقتراح سيناريوهات المواجهة، تلك هي أحد أهم منطلقات الدراسة والتي لن تغيب عن ذهننا طوال مسيرة البحث.

وتشتمل الدراسة على فصل تمهيدي وأربعة فصول رئيسية.

الفصل التمهيدي: الحالة الدينية في إسرائيل.

الفصل الأول: مؤسسات التعليم الديني.

الفصل الثاني: الحاخامية الرئيسية.

الفصل الثالث: وزارة الخدمات الدينية.

الفصل الرابع: الحاخامية العسكرية.

وفي النهاية تبقى كلمة مفادها أنه قد حان الوقت لأن نُعيد الصراع العربي الإسرائيلي إلى مكانته المركزية في الوعي والوجدان العربي، فلقد أضر وجود الكيان الصهيوني العرب جميعًا، وطالما أن هذا الصراع مستمر

فستظل المنطقة مشتعلة، فقد برر وجود هذا الكيان للعنف والتشدد الديني في المنطقة إذ كرس الإحساس بالظلم المولد للعنف نتيجة كيل العالم بمكيالين فيما يتعلق بتلك القضية، كما حال دون قيام أنظمة ديمقراطية في المنطقة فباسمه جرى إهدار كرامة الأمة وتوطين الاستبداد واغتيال الحريات، إذ اتخذتها الأنظمة السلطوية بالمنطقة ذريعة لوأد حرية شعوبها والترويج لنظرية المؤامرة، ففلسطين حقًّا هي «**المعركة الذريعة**»، إذ باسمها تم اغتيال الحريات والتغطية على الفساد والاستبداد، يقول العلامة جمال حمدان في واحدة من مقولاته الرائعة: «الوظيفة التي من أجلها أوجد الاستعمار هذا الكيان الصهيوني، هي أن يصبح قاعدة متكاملة آمنة عسكريًّا، ورأس جسر ثابتًا استراتيجيًّا، ووكيلًا عامًّا اقتصاديًّا، وعميل خاصًّا احتكاريًّا، وهو فوق كل ذلك يمثل فاصلًا أرضيًّا يمزق اتصال المنطقة العربية ويخرب تجانسها ويمنع وحدتها، وإسفنجة غير قابلة للتشبع تمتص كل طاقاتها، ونزيفًا مزمنًا في مواردها».

وبعد؛ أرجو من الله أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في الكشف عن طبيعة المؤسسات الدينية الإسرائيلية واتجاهاتها العقائدية للتوصل إلى فهم أعمق لطبيعة المجتمع الإسرائيلي خاصة في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة التي تزايد فيها الجدل حول تأثير القيادات الدينية في تقرير مصير المنطقة ودورها في التأثير على السلام العالمي، ولا أزعم أنني قد تناولت هذا الموضوع بكل أبعاده؛ فهناك الكثير في هذا المجال مما هو بحاجة لمزيد من الدراسة والربط مع التطورات التاريخية السابقة واللاحقة. والله أعلم.